المحاضرة السادسة:

مدخل الى المناهج الكمية والمناهج الكيفية

الأهداف التدريسية :

- التمييز بين البحوث الكمية و البحوث الكيفية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية.

المحتويات :

1. ابستيمولوجيا البحوث الكمية
2. ابستيمولوجيا البحوث الكيفية
3. أسئلة للمناقشة

إن مناهج البحث العلمي في العلوم الانسانية و الاجتماعية ليست معطيات منفصلة بذاتها ،وجدت في فراغ. بل إنها تمثل محصلة تصورات مختلفة لماهية البحث العلمي و منهجيته، و منشأ هذا الاختلاف مرتبط أشد الارتباط بتعدد الرؤى الفكرية و اختلاف مواقفها من هدف البحث وغايته، فضلا عن اختلافها في النظر إلى عدد من القيم القاعدية في البحث كالموضوعية و الحياد و الصدق و الثبات .

يؤكد الكثير من الباحثين تشابك الابستيمولوجيا و النظرية و مناهج البحث ،إذ يوجد بين ثنايا أي رؤية فكرية نظرية معينة للمعرفة ،و عليه فإن منهجية البحث تمثل انعكـــاسا لالتقاء النظرية بأدوات البحث لينتجا معا دليلا لخطة البحث بدء من صياغة الإشكالية مرورا بجمع البيانات و تحليلها وصولا إلى عرض النتائج على النحو الذي يصوره الشكل رقم (01)

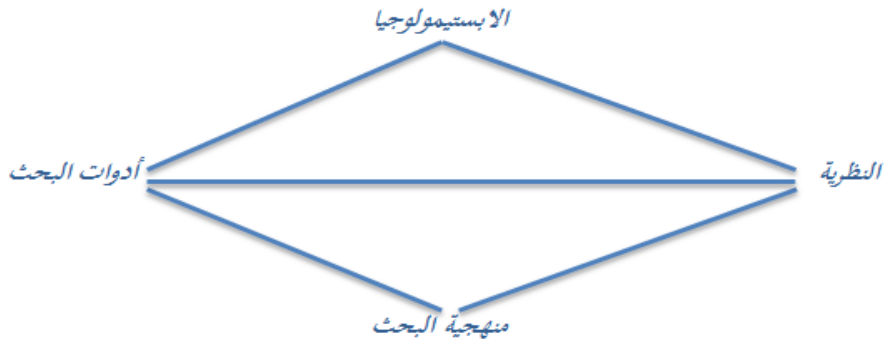

الشكل رقم(01)يوضح : منهجية البحث : الجسر الرابط بين النظرية و أدوات البحث [27]

1. ابستيمولوجيا البحوث الكمية :

تتأسس البحوث الكمية على الفكر الوضعي ، و عليه فهي تنظر إلى الظاهرة المبحوثة وفقا للمنظور الوضعي لطبيعة الحقيقة الاجتماعية التي تؤمن بوجود حقيقة قابلة للمعرفة ، فهي موجودة بشكل مستقل عن العملية البحثية و عن كل رأي أو موقف بانتظار استكشافها و دراسة المتغيرات التي تكونها باعتبارها "بنية مغلقة تتكون من عناصر قابلة للقياس "(Mucchielli ,2014) حيث يعتقد الوضعيون أن العالم الاجتماعي ، المشابه للعالم الطبيعي ، تحكمه قواعد تتجلى في شكل أنماط و تبعا لذلك فإن العلاقات السببية بين المتغيرات لها وجودها ، بل و يمكن تمييزها و البرهنة عليها و تفسيرها ؛ و من ثم فإن الحقيقة الاجتماعية النمطية يمكن التنبؤ بها كما أن من خصائصها إمكان التحكم فيها " (شارلين هيس-بيبر،ص:52)

يعتقد الفكر الوضعي بوجود حقيقة مستقلة يمكن معرفتها حيث " تفترض الابستيمولوجيا الوضعية أن هناك حقيقة موضوعية موجودة (خارج ذهن الباحث) و أن بالإمكان الكشف عنها على يد الباحثين الموضوعيين غير المتأثرين بالأحكام القيمية من خلال استخدام طرق البحث الموضوعية"(شارلين هيس-بيبر،ص:54) و يعني ذلك أنه يمكن الكشف عن واقع و حقيقة الظاهرة وفق درجة موضوعية

عالية جدا من خلال دراستها إمبريقيا اعتمادا على القياس الكمي الذي يتيح للباحث الاستناد ،في تحليله للظاهرة محل البحث، إلى المعطيات الإحصائية " فصرامة المعالجة الكمية للبيانات و المعطيات تمنح البحوث الكمية طابعها الموضوعي ، و تجعلها في منأى عن التلاعب "(العياضي ،2016 ،ص:104) و بعيدة عن ذاتية الباحثين المحايدين ، الذين يمكن التدليل على درجة التزامهم بالموضوعية من خلال جملة من الاجراءات كالتأكد من الثبات مثلا

بناء على ما تقدم يمكن الاستنتاج بأن الباحثين قد اهتموا بالمناهج الكمية في تحصيل المعرفة في العلوم الانسانية و الاجتماعية بعد أن أثبت نجاعته في العلوم الطبيعية سعيا لإضفاء الطابع العلمي من خلال دراسة الظاهرة الاجتماعية اعتمادا على خطوات منهجية منظمة و محايدة. فالاتجاه الوضعي يعتقد بإمكانية اخضاع الظواهر الاجتماعية للملاحظة و التجريب بطرق مماثلة لتلك المعتمدة في العلوم الطبيعية إذ " يمكن دراستها بمعزل عن مظاهرها الفردية و الانطباعات الذاتية بتوجيه البحث و الدراسة الى كل ما هو مُدرك حسيا "(محمد عبد الحميد،2000،ص280)

2. ابستيمولوجيا البحوث الكيفية :

تتأسس البحوث الكيفية ابستمولوجيا على المنظور التأويلي ، هذا الأخير الذي يستمد تسميته من اعتقاد مركزي تلتف حوله تيارات فكرية عديدة ، مفاده أن التأويل هو أساس الفهم . و قد ظهر المنظور التأويلي "كاعتراض مباشر على نظرية المعرفة الوضعية و على تفسيرها أو تطبيقها لمفهوم الموضوعية "(شارلين هيس-بيبر،ص:54) حيث يقوم الفكر التأويلي بشكل أساسي على تأويل عمليات التفاعل بين الأفراد من جهة و تأويل المعني الاجتماعي الذي ينسبه هؤلاء الأفراد لتلك التفاعلات من جهة ثانية .فالمنظور التأويلي "لا يرى الظواهر الاجتماعية و الثقافية في حالها المنجز ، و صيغتها النهائية، بل تراها في طور البناء و التشكل . فالناس يصنعون واقعهم الاجتماعي انطلاقا من تفاعل بعضهم البعض ،من جهة ، و بينهم و بين واقعهم من جهة ثانية. فإدراك هذا الواقع لا يتم بدون وجهات نظر الأشخاص الفاعلين ، لذا لابد من استجلاء تأويلهم لأوضاعهم و للظواهر الاجتماعية"(نصر الدين العياضي،،2010،ص:07). و عليه يمكن القول أن المنظور التأويلي يؤمن أن واقع الظاهرة محل البحث يأخذ معناه أثناء عملية التفاعل بين عناصرها .

و تجدر الإشارة في هذا الإطار أن المعرفة الكيفية تمثل نتاجا لتنويعة كبيرة من النظريات التي اهتم روادها ببحث و دراسة الظاهرة الاجتماعية ، و أن هذه النظريات ، وإن اتفقت في اعتمادها مبدأ التأويل في الاقتراب من الظاهرة الاجتماعية ، إلا أنها تتبنى منطلقات مختلفة ، إذ يتأسس الاتجاه الكيفي على عدد من المدارس الفكرية ، مستمدا ثراه من اختلاف اهتماماتها في دراسة الظاهرة الاجتماعية .

أسئلة للمناقشة :

- وضح الأسس الابستيمولوجية للبحوث الكمية .
- وضح الأسس الابستيمولوجية للبحوث الكيفية.